الآثار التاريخية لمدينة دمشق خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة

(Historical Monuments of Damascus in the light of the Travelogues of *Ibn Jubair* and *Ibn Battūta*)

Aatika Aslam

Doctoral Candidate Arabic, The Islamia University of Bahawalpur/ Assistant Professor of Arabic Govt. Degree College for Women Satellite Town Bahawalpur

Prof. Dr. Sheik Shafiq-ur-Rehman

Dean Faculty of Islamic Studiers, The Islamia University of Bahawalpur

Abstract

Everything has an end and nothing is eternal in this world. Some people come and others are annihilated. These annihilated nations leave their inscriptions, historical and religious monuments and other remaining's which become cultural and intellectual symbol for later generations . Damascus is one of the oldest inhabited cities in the world which is closely linked with important historical events, ideas, traditions and traces of earlier cultures especially from the Islamic period. It also testifies to the unique aesthetic achievements of the civilizations as well as it exhibits outstanding evidences of the civilizations which created it . In this regard traveller's travelogues plays a very important role to get accurate records of particular peoples, places, customs and ceremonies etc. We see that travellers towards Damascus paid their best efforts to give an account of the prevalent social milieu and a deep insight into their culture, habitation and historical and religious monuments which is important not only for Muslims but also for other religions. This article is a

comparative study of Damascus' historical and religious monuments in the light of the travelogues of *Ibn Jubair* and *Ibn Battūta* which specially discusses the existence of these Places, their history and geography such as the Tomb of Maryam, cave of Prophet Ibrahim, *Qubūr al-Shuhadā'*, the Mosque of al-Qadam and Umayyad Mosque etc.

Keywords: Historical monuments, Damascus, travelogues, *Ibn Jubair*, *Ibn Battūta*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين. اما بعد: إن دمشق وآثارها لها تاريخ يزيد من تسعة آلاف سنة قبل الميلاد وتعتبر دمشق أقدم عاصمة في العالم وقد نالت آثار دمشق مكانة ومنزلة فريدة وقد تركت الأجيال السابقة آثارها كي تكون شواهد وتاريخ للأجيال القادمة وهكذا تكون رمزا ثقافيا وحضاريا وفكريا،و تتيح هذه الآثار فرصة للإنسان في الوقت الحاضر أن يطلع على الحياة اليومية الخاصة بالانسان القديم من خلال دراسة الآثار ألتي تركوها،وقد لعب الرحالون دورا حاسما في هذا المجال حيث شقوا أمواج البحار و صعدوا الجبال و ركبوا جمالهم و خيولهم فى الصحارى لمعرفة أحوال الأمم و الأجيال السابقة. فلهم فيه تاريخ يعتبر في نفسه تاريخ. ويمتاز ابن جبير و ابن بطوطة بأسلوبهما الخاص بين الرحاليين و رحلاتهما ليست رحلات فحسب بل هي ثقافة ,حضارة, و تاريخ دول العالم و الأقوام المختلفة . يتعرف القارئ خلال قرأتها عن الآثار والأماكن والمواضع والأحداث والوقائع التى ليست فى سيطرة عامة الناس. وهذا البحث الذي هو في أيدينا دراسة عن آثار دمشق في ضوء رحلات إبن بطوطة وابن جبير، وأما المنهج الذي اتخذناه في إعداد هذا البحث فقبل الإنتقال إلى الموضوع الرئيسى ذكرنا تعريف أدب الرحلة و تاريخه و موضوعه ونشأته و تطوره و نبذة عن حياة ابن جبير وابن بطوطة و قيمة رحلاتهما و يهئي هذا البحث فرصة قيمة للقاري يطلع خلالها على آثار دمشق التاريخية والدينية وغيرها وتكون أمامه صورة كاملة لهذه الآثار في صفحات قليلة. نتمنى أن يكون هذا البحث نافعا لقارئ الأدب العربى و خاصة لمن له رغبة فى الإطلاع والبحث عن آثار دمشق و أدب الرحلة . حسبنا الله ونعم الوكيل.

الرحلة

الرحلة من الإرتحال ومعناه الإنتقال من مكان إلي مكان آخر لتحقيق هدفٍ معين، مادياً كان ذلك الهدف أومعنوياً.[1] فالرحلة أوالترحال أوالتنقل قد عرفها الإنسان بفطرته منذ خليقته وهبوط آدم وحواء إلى الأرض فهى أول رحلة قام بها الانسان من بساتين الجنة إلى الأرض وأشار إليه عزوجل في كتابه: **﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾**[2] فجرت رحلات البشر منذ ذلك التاريخ كما وجدنا أدلة نقلية وتاريخية. فالأدلة النقلية يبينها القرآن الكريم كرحلة نوح وأتباعه في السفينة، ورحلة موسي من مصر إلي مدين عند شعيب، وأيضاً رحلته مع اليهود ورحلته العلمية إلي خضر، ورحلة ابراهيم مع زوجته وطفله إسماعيل. أما الأدلة التاريخية فقد ثبتت بالآثار القديمة والكتب التاريخية، منها رحلة ملوك مصر إلي آسيا ورحلة ملكة حتشبسوت إلي بلاد الصومال ورحلات الفينيقين إلي المحيط الأندلسي والجزائر البريطانيا ورحلات أهل روما إلي جزائر كناريا في المحيط الأندلسي وإلي الهند والشرق والأ قصيٰ. ويتضح إستمرار الرحلة من ثبوت التواصل في العصور القديمة بين قري مبعثرة فوقت رقعة هائلة من المعمورة.[3] فإن طبيعة الحياة العربية والإقتصادية دفعت الإنسان إلى الحركة والتنقل والرحلة في سبيل العيش وبقائه، فأصبحت الرحلة سمة متميزة في حياة العرب حتي تجلت في شعره كما يقول ابن قتيبة في كتابه الشهير "الشعر والشعرء": "إن وصف الرحلة احتل المرتبة الثالثة بعد بكاء الأ طلال والنسيب".[4] ولكن ليست بطيبعة الحياة العربية والإقتصادية سبب واحد بل تعددت دوافعه حسب مكان إلي مكان وشخص إلي شخص وبلد إلي بلد وزمن إلي زمن، والدوافع المعروفة التي كانت ولا تزال معروفاً هي دوافع دينية كرحلات الحج أورحلات علمية أوسياسية أوإقتصادية أوسياحية أوفي بحث الأمن هروباً من الظلم أو للعلاج وغيرها.فقام المسلمون والعرب الأوائل عديداً من الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية وجميع الإتجاهات فدون هؤلاء الرحاليين رحلاتهم وذكر فيهم مشاهداتهم بشكل فني خاص فعرف هذا الفن "بأدب الرحلة".

---

[1] محمد بن مكرم بن على ابن منظور الافريقي، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1414ھ)، 11: 279۔

2البقرة 2: 38۔

[3] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي (قاهرة: مكتبة الدار العربية، 2002ء)، 28،25؛ ويُنظر: شوقي ضيف، الرحلات (قاهرة: دارالمعارف)، 7،8۔

[4] ابو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء (قاهرة: دار الحديث، 1944ء)، 1: 74۔

أدب الرحلة: مفهوم وفوائد و موضوع

كل شيئ ما يلاحظ الرحال ويعيشه ويدرس عن وقائع وأحداث البلد الأجنبي بعادات سكانهم وتقاليدهم وكذلك خلفيتهم السياسية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية، وملامح يوافقها الرحال ومواقف قد تأثر بها الأديب، وهموم عاني منها في تلك المدينة الأجنبية أو البلد الأجنبي طالت أم قصرت مدة اقامته فيها ومشاعر تختلج في نفس المغترب تجاه الأمور السابقة وكذلك جغرافيا ذلك البلد. هذا الفن من أهم فنون الأدب العربي ولكن لم يكن معروفاً بأدب الرحلة أوأدب الرحلات بل نجد أحيانا في كتب التاريخ أوالسيرة الذاتية أوالجغرافيا أوأدب الاعتراف. فسمي تسمية "أدب الرحلة" في العصر الحديث حسب شواهده من دراسات وتقسيمات لفنون والوان المعروفة الادبية فوجدنا لها تعريفات عديدة ولكن أنسبها مايلي:

> هونوع من الأدب الذي يصورفيه الكاتب ماجري له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان". "أويملي أويحدث مشاهداته ومشاعره تجاه ما سمع وما رأي، ويسطر ذلك شخص آخر". وهناك من يعرفه بأنه: "نوع من النثر الأدبي يستمد موضوعاته من الرحلات ويكتب بلغة أدبية.[5]

يمكن أن نقول بأن أدب الرحلات ليس وصفاً تاريخيا أوجغرافياً فقط بل يجب أن يكون النثر الفني مسجلا بكل ماشاهده خلال رحلاته بأسلوب أدبي ممتع مؤثر. فوجدنا هذا النوع في الأدب العربي منذ القرن العاشر الميلادي ولا يزال مستمراً بل تطور وتنتمي. يفيد أدب الرحلة لقارئه معلومات ثمينة وممتعة عن بلاد أجنبية عبر القرون بكل ما شاء عن ثقافتها وإجتماعها وجغرافيتها وغيرها بأسلوب ممتع رائع كأنه يراها رأي العين وذلك بدون كلف وهومستريح في الغرفة.

لمحة تاريخية عن الرحلات العربية الإسلامية

لا شك أن العرب الأوائل عرفوا السفر ومارسوا الترحال بطبيعة الحياة العربية والاقتصادية وورد ذكر هذه الرحلة في القرآن الكريم "برحلة الشتاء والصيف" ورحلوا رحلات بحرية شرقاً وغرباً. ووسع دور الرحلات العربية بمجئ الاسلام وعدد دوافعها حتي بلغت على قمتها وذروتها خلال الفتوحات الاسلامية وعصور الإنفتاح حتي القرن الخامس الهجري، ثم ظهرت التدهور في هذا النوع ولم يكن من الممكن تطورها وازدهارها لمدة طويلة بل ضعفت نشاطها إلا بعض الإستثناءات

[5]Mustapha Benaissa. "الرحلة وأدبها في اللغة العربية" Accessed Dec 24,2020.

http://www.scribd.com/document

كمثل رحلات ابن بطوطة ورحلات ابن خلدون المؤرخ الشهير. واستمر ذلك الضعف حتي جاء العصر الحديث فحاول بعض الأقلام بنهوضه. فأذكر من هؤلاء الرحالة ابن جبير وابن بطوطة ورحلاتهما كما أذكر الآثار التاريخية لمدينة دمشق خلال رحلتهما.

ابن جبير

ولد الرحالة الشهير، المؤرخ، الأديب محمد بن أحمد بن جبير[6] فى الليلة العاشرة من يوم السبت في شهر ربيع الاول سنه 549ه/1145م في بلنسية من شرق الأندلس-[7] _نشأ ابن جبير في بيته تحت تربية ابيه حيث جهزه أبوه لتعين علىٰ المراتب السامية وعلى المناصب العالية، فدرس العلوم من أبيه وتلمذ عند علماء عصره بمنطقة شاطبة وأراد بتعلم الأدب وفاق فيها وبرز في صناعة الكتابة.[8] فإنه ما لبث أن يتيقظ فيه المواهب الادبية فشرع في قرض الشعر.[9] _لاشك بأن ابن جبير تمتع بمكانة سامية لقدرته على نظم الشعر والنثر ولسعة علمه، وكذلك فاز على المناصب الكتابية وهو يعتبر من أكابر كتاب الدولة الموحدية الذين كانوا حكام الأندلس والمغرب.[10] يُعَد من أبلغ الأدباء وشاعراً من أفضل الشعراء الذي وقف حياته للتعليم واشتغل في آخر أيام حياته في تدريس طلاب الحديث والفقه والتاريخ والجغرافية والأدب العربي. والطلاب كانوا يأتونه للتعليم من كل حدب وصوب.[11] ولا شك في أنه كان صاحب موهبة ويقظة، كما كان يهتم بسلاسة الأسلوب والملاحظة

---

[6] محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن عبدالسلام الكناني. فهو أندلسي شاطبي بلنسي أما سبب نسبته إلي بلنسية بأنه ولد بها على أرجح الأقوال وأما سبب نسبته إلى شاطبة فهو بسبب إقامته بها. أنظر: أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (مصر: مكتبة القراءة والثقافة)، 8: 282-

[7] خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الأعلام (دمشق: دارالمامون، مطبعة عيسي البابي الحلبي)، 5: 319- ولكن إختلف العلماء فى تاريخ ولادته قيل: بأنه ولد في سنة 539ه الموافق 1144م في قرية شاطبة أو بلنسية- أنظر: أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس (الرباط: دار المنصور، 1973ء)-

[8] أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2: 382-

[9] شوقي ضيف، الرحلات، 70-

[10] حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس (قاهرة: مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية: 1986ء)، 429-

[11] علي بن عبدالله الدفاع، رواد علم الجغرافية فى الحضارة العربية والاسلامية (الرياض: مكتبة التوبة، الطبعة الثانية، 1993ء) 173-

والدقة كما نرى في تاليفه: "تذكرة الأخبار عن إتفاقات الأسفار" المعروف باسم رحلة إبن جبير التي دونها بعد زيارة لعديد من الأماكن والبلدان وسجل فيها مشاهداته بأسلوب بديع رائع.[12]

رحلاته

لقد طاف ابن جبير العالم وجانب المشرق ثلاث مرات: **الرحلة الأولىٰ:** أما سبب رحلته الأولىٰ فقد أشار المقري إليه قائلا: إنه كان كاتبًا لسيد ابي سعيد صاحبِ غرناطة، فاستطلبه لأن يكتب عنه كتاباً وكان السيد أبو سعيد علي شرابه، فَمَدَّ إليه الكأس وأظهر عليه الإنقباظ، فقال ياسيدي ماشربتها قط فقال: والله لَأُشربنك سبعةَ كأس فإذا رأي عزيمته شرب سبعة كأسٍ فملأه السيد الطائس من دنانير سبع مرات وألقىٰ في حجره، فذهب به إلى بيته وعزم ان يحج بتلك الدنانير كفارةً لشربه.[13] **الرحلة الثانية:** قام ابن جبير لهذه الرحلة في عام 585هـ/1189م.[14] عندما شاع خبر فتح المسجد الأقصىٰ أي بيت المقدس علي يد السلطان الناصر صلاح الدين بن يوسف بن أيوب بن شادي فعزم على الرحلة الثانية.**الرحلة الثالثة:** قام ابن جبير لهذه الرحلة إلي الحجاز سنة614هـ الموافق 1217م.[15] بعد وفات زوجته عاتكة أم المجد بنت أبي جعفر الوقشي[16] لحصول الراحة والسكون. فكانت هذه آخررحلاته ولم يرجع إلى الأندلس مرة أخرى وطاف بين مكة وبيت المقدس والقاهرة والاسكندرية للتدريس حتي وافته المنية بالأسكندريه ليلة الأربعاء 29شعبان 614هـ الموافق 1217م.[17]

قيمة رحلته

---

[12] علي بن عبدالله، رواد علم الجغرافية، 172.

[13] أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2: 385،386. وانظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة، 385،386. وانظر: زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطىٰ (قاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012ء)، 57.

[14] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963ء)، 2: 232.

[15] زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الواسطىٰ، 67.

[16] فؤادقنديل، أدب الرحلة، 388.

[17] كراتشكو فسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، 1: 299. وانظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي الأندلسي، الشهير بـ لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ) 2: 239.

نال رحلة ابن جبير قيمة عظيمة أدبية عبارتها مفصلة سهلة بسيطة لا ثرثرة فيها ولا إستطرادات كما يزين عباراته بجمال التركيب وحلاوة البيان. وقد عني ابن جبير بالرسوم الدينية والنواحي الاجتماعية والجغرافية والسياسية والثقافية والاقتصادية ويذكر عن الطرق والبحار والأنهار والعمائر والمساجد والمدارس والمستشفات والمناخ والمدن والمسالك. يُعد رحلته مصدراً رئيسياً لكل باحثٍ في الأدب والتاريخ والحضارة العربية والجغرافية وغيرها، ويقال: إنها أول رحلة مدونة للأندلس، فلذا إستفاد الرحالون والجغرافيون الذين جاؤوا بعد ابن جبير علي حد سواء فإن رحلته من أحسن نموذجٍ لأدب الرحلات فابن جبير "هوالأدب المؤسس لهذا النمط".[18] نالت هذه الرحلة شهرة بين المتأدبين واقتبس منها عديد من الرحالة والجغرافيين مثل المقري والعبدري والمقريزي ونقل ابن بطوطة من رحلته معلومات خاصة عن حلب ودمشق.

ابن بطوطة

ولد الرحالة العظيم محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي[19] المعروف بشيوخ الرحاليين يوم الاثنين في السابع عشر من رجب الفرد سنة 703هـ[20] /24 فبراير سنة 1304م.[21] وهو معروف بشمس الدين في بلاد الشرق[22] وفي الهند بدرالدين[23] ولقب باللواتي نسبة إلي قبيلة لواتة[24] والطنجي نسبة إلي مولده في مدينة طنجة.[25] نشأ ابن بطوطة في مدينة طنجة في حضن أسرة كريمة كانت تهتم كل الإهتمام بالعلوم الشرعية واللغوية فنبغ في علم الفقه وهوفي

[18] علي بن عبدالله، رواد علم الجغرافية، 173.

[19] شهاب الدين احمد بن علي ابن حجر العسقلاني، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (حيدرآباد/الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1972ء)، 3: 48.

[20] العسقلاني, الدر الكامنة ، 6.

[21] فؤاد قنديل، أدب الرحلة، 488.

[22] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بولاق: المطبعة الأميرية، تحقيق وتهذيب: أحمد العوامري ومحمد أحمد جاد، 1934ء)، 1: 4.

[23] ابن بطوطة, تحفة النظار ، 509.

[24] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، 1: 422.

[25] ابن بطوطة، تحفة النظار ، 5:1.

ريعان شبابه.[26] قد تعلم علي طريقة أقرانه في عصره فأولًا بدأ بحفظ القرآن الكريم ودرس علي كبار الشيوخ ليكون فقيها كأبيه وبقية الفضلاء من اهل بيته، ولكنه ما استطاع أن يتم دراسته لأنه خرج في للرحلة وهو في الحادية والعشرين من عمره وهذا يدل على انه لم ينتظر لتكميل دراسته الفقه، وفي هذا العصر كانت وقت هذه الدارسة طويلًا فليس يكون للرجل أن يفرغ من دراسته إلاَّ في حدود الثلاثين.[27] ذكر ابن بطوطة في رحلته عن معرفته فى علوم الدين قائلا: "أما الوزارة والكتابة فليست شغلي وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي".[28] وله ميل واضح للمذهب المالكي وهوسائد بشمال إفريقيا لولم نجد معلومات كثيرة عن تعليمه ونشأته ولكن توليته علي المنصب القاضي بدهلى مرتين[29]، وجزائر ذيبة المهل وحتي على الركب التونسي من حيث القاضي وذكره عن قاضي رندة في عصر دخوله عن إبن عمه الفقيه يحيي بن بطوطةيؤيد بأنه استفاد من الإزدهار العلمي في عصر بني مرين. كان شديد الحرص علي التمسك بتعاليم الدين الاسلامي إذا هويسمع عن رجل صالح أوعالم فيخرج إليه بلقائه والتبرك بدعائه. كان يثق في الكرامات وبالأولياء والزاهدين والفقراء المتعبدين يسرد الخوارق والمعجزات والكرامات بالكثرة في رحلته. كان أميناً صادقاً إذا نسي اسم مكان أورجل لايخترع له اسماً بل يقول: "ونسيت اسمه" ولذلك قيل له بالرحالة الأمين.[30] مارس في الشعر كما نري أنه مدح ملك الهند، على عادة العلماء المتفنين.

رحلاته

لإبن بطوطة ثلاث رحلات: **الرحلة الأولي:** قام ابن بطوطة للرحلة الأولى سنة 1325م قاصداً إلى مكة المكرمة ولكن انقلبت رحلته إلى جولة حسب رغبتها واستغرقت فيها 24 سنة، فطاف شمال إفريقيا وآسيا وأهم عواصم العالم وحج في أثناء ذلك أربع مرات وعند البعض ست مرات.[31] **الرحلة**

---

[26] علي بن عبدالله، رواد علم الجغرافية، 707.

[27] حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته (قاهرة: دارالمعارف، 2003ء) 17.

[28] ابن بطوطة، تحفة النظار، 2: 130.

[29] ابن بطوطة، تحفة النظار ، 131.

[30] ابن بطوطة، تحفة النظار ، 1: 12.

[31] ابن بطوطة، تحفة النظار ، 15.

الثانية: قام ابن بطوطة للرحلة الثانية من فاس سنة 1349م.[32] كي يجاهد ضدالفونس ولكن لم يقم طويلاً بل أخذ أن يتنقل من بلد إلي بلد ليصفها حتي يرجع إلى فاس. **الرحلة الثالثة:** خرج ابن بطوطة للرحلة الثالثة من فاس سنة 1352م بحكم أبي عنان إلي تمبكتوليتصل ملوكها وأمرائها كي يرسم العلائق السياسية والتجارية فطاف مالي، سجلسامة، كارسخووغيرها ورجع إلى فاس حيث أملي رحلته إلى ابن جزي كاتب أبوعنان المريني.

قيمة رحلته

نال رحلة ابن بطوطة شهرة عظمية حيث أنهاً "معروفة متداولة بأيدي الناس وهي قصة جميلة تقرأ في لذة واستمتاع لأنها في صميمها مغامرة طويلة حافلة بالمعلومات الصادقة الدقيقة بالإضافة إلى ما فيها من الغرائب والطرف."[33] ولم يترك ابن بطوطة بلداً نزل بها إلا وتحدث عن أهلها وسلطانها وعلمائها وفضلائها، وبذلك كانت رحلته معرضا كبيراً لحياة الأمم والأقاليم التي نزل بها من الوجهتين السياسية والاجتماعية. وكانت فيه نزعة دينية قوية، فأطال الوقوف عند رجال الدين وأمور الاسلام وزوايا المتصوفة.[34] أما أسلوب رحلته فقد وضعها ابن جزي بميل واضح إلي السجع والإطناب فهولا يستخدم أسلوباً واحداً على جميع صفحات الكتاب بل يميل أحياناً إلى اللغة المحادثة وأحياناً إلى الأسلوب القصصي.

الآثار التاريخية لمدينة دمشق خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة

إن مدينة دمشق هي أقدم مدن سوريا عمرت من عهد آدم[35]. فإن تاريخها عريق في القديم، إذا فتح العرب مدينة دمشق اهتم اهتماماً بالغاً بالمحافظة عليها ولرفع شأنها وجعلها عاصمة الدولة الاسلامية وقاعدتها اتسعت في عهد بني أمية ثم تواترت الفتن فيها في عهد بني عباس، واضمحل العباسيون معالمها الأموية إلا الجامع الكبير وظلت هكذا في ظل الدولة العباسية والفاطمية حتي جاءت آل سلجوق في القرن الحادي عشر للميلاد، وازدهرت تحت حكمهم وتحت ملوك الأتابكة البورية والنورية والأيوبية حتى أصبحت من أكبر قواعد الجهاد ضد الفرنجة في القرن الثاني عشر للميلاد، وأخذت

---

[32] ابن بطوطة، تحفة النظار ، 15ـ

[33]: حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، 11ـ

[34]: شوقي ضيف، الرحلات، 98ـ

[35]: تقي الدين محمد أديب الحصني، كتاب منتخبات التواريخ لدمشق (بيروت: دار الآفاق الدجدية، الطبعة: الأولىٰ 1985ء)، 1: 21ـ

مكانته العليا في السياسة والعسكر في العالم الاسلامي. فعاد النشاط التجارى والعلمى والدينى حتى أصبحت كمركز الحضارة الإسلامية في عهد المماليك كما أن أراد ابن جبير لزيارة الشام بشيوع الخبر المنبهج بفتح بيت المقدس. فزار مدينة دمشق في ربيع الآخر سنة ثمانين وخمس مائة واستصوره فقال: "هي جنة المشرق، ومطلع حسنه المؤنق المشرق، وهي خاتمة بلاد الاسلام التي استقريناها، وعروس المدن التي اجتليناها، قد تحلت بازاهير الرياحين، وتجلت في حلل سندسية من البساتين، وحلت من موضوع الحسن بالمكان المكين وتزينت في منصتها أجمل تزيين تتبرج لناظريها بمجتلي صقيل، وتنادهيم: هلموا إلى معرس للحسن ومقيل، قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت إلي الظماء،فتكاد تناديك بها الصم الصلاب". ﴿أُرْكُض بِرِجْلِكَ هذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[36]

ثم ننظر إلى ابن بطوطة الذي وصل إلى مدينة دمشق في شهر رمضان الكريم سنة ست وعشرين وسبع مائة. فيصفه كما وصف ابن جبير قبل ذلك ويفضل ابن بطوطة دمشق علي كل بلدٍ كما فضل ابن جبير قبل ذلك باختيار الكلمات التي استعملها ابن جبير في تعريف دمشق. وما اكتفي ابن بطوطة علي ذلك بل إعترف وقال: "لا أبدع مما قاله ابوالحسين ابن جبير في ذكرها-" يذكر ابن بطوطة عن شرف هذه البلدة بأن أوي المسيح وأمه فيها. ﴿إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَّمَعِيْنٍ﴾[37] وفي تفسيره-[38] ظل ظليل ومآء سلسبيل ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل. تتبرج لناظريها بمجتلي صقيل.[39] هكذا ابن جبير تشرف هذه البلدة بمكان عيسىٰ وأمه.

فنحن ننظر إلى السياحين اثنين (ابن جبير وابن بطوطة) فانهما لايصفان هذه البلدة فقط بل يذكران المواضع المهمة ويبينان أحوالها التاريخية كما قال ابن بطوطة في توصيف جامع مسجد

---

[36]أنظر: محمد بن أحمد ابن جبير، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار (بيروت: دارصادر، 1959ء)، 234-

[37]المؤمنون 23: 50- فى تفسير ابن كثير قول سعيد ابن المسيب: بأنه هو دمشق- أنظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم (رياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ ، 1999ء)، 5: 476-

[38]وفى تفسير القرطبى آراء مختلفة منها قَول ابْن عَبَّاسٍ وَابْن الْمُسَيَّبِ وَابْن سَلَامٍ: يقولون بأن يراد به دمشق والاخرون يقولون بأن يراد به الرملة- أنظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ / 1964ء)، 12: 126 ولكن الأغلب بأنه هو دمشق كما وجدنا ذكر نزول عيسى على المنارة البيضاء شرقي دمشق. والله أعلم بالصواب.

[39]ابن بطوطة، تحفة النظار ، 1: 68-

دمشق فقال: "وهوأعظم مساجد الدنيا احتفالاً وأتقنها صناعاً وأبدعها حسناً وبهجة وكمالاً ولا يعلم له نظير ولا يوجد له شبيه".[40] ويري ابن جبير مثل ذلك ومع ذلك يصف وصف المسجد ويقول: "من عجيب شأنه أنه لا تنسج له العنكبوت ولا تدخله، ولا تُلِمُّ به الطير المعروفة بالخطاف".[41] وهكذا يتفق السياحان (ابن بطوطة وابن جبير) علي أنه من بناة الوليد ابن عبدالملك. فقال ابن جبير:

> انتدب لبنائه الوليد ابن عبدالمك ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطنية يأمره باشخاص اثني عشر الفا من الصنائع من بلاده وتقدم إليه بالوعيد في ذلك إن توقف عنه۔[42]

وقال ابن بطوطة: وكان الذي تولي بنائه واتقانه امير المومنين الوليد بن عبدالملك ابن مروان ووجهه الى ملك الروم بقسطنطنية يأمره ان يبعث اليه الصناع فبعث اليه اثني عشر ألفا صانعا.[43] ثم يتفقان علي إنهدام نصف الكنيسة ويذكران قول وليد ابن عبدالملك الذى قاله لتكذيب زعم النصاري الذين يحسبون ان الذي يهدمها يجن. فقال الوليد: "أنا أول من يجن في سبيل الله"، وحمل الفاس وهدمه بنفسه.[44] يذكر ابن جبير استغاثة النصاري في عهد عمربن عبدالعزيز فيقول:

> استغاث النصاري زمان عمر ابن عبدالعزيز واستعدوا عمر بن عبد العزيز أيام خلافته وأخرجوا العهد الذي بأيديهم من الصحابة في ابقائه عليهم فهم بصرفه اليهم فأشفق المسلمون من ذلك ثم عوضهم منه بمالٍ عظيمٍ أرضاهم به فقبلوه۔[45]

---

[40] ابن بطوطة، تحفة النظار، 1: 71۔

[41] ابن جبير، رحلة ابن جبير، 235۔

[42] ابن جبير، رحلة ابن جبير، 235۔

[43]: ابن بطوطة، تحفة النظار، 1: 71۔

[44]: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415ھ/ 1995ء)، 2: 254۔ وأنظر: محمد بن أحمد ابن جبير، رحلة ابن جبير، 236۔ وأنظر ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، 1: 71۔

[45] ابن جبير، رحلة ابن جبير، 236۔

ولكن ما وجدنا ذكره في رحلة ابن بطوطة. يذكر ابن جبير في فضائل المسجد وجامع دمشق عن سفيان الثوري قال: إن الصلاة فيه يساوي بثلاثين الف صلاة،[46] وفي الحديث عن النبيﷺ: "أنه يعبد الله عزوجل فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة۔"[47] ويقول ابن بطوطة:

> قرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري إن الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين الف صلاة، وفي الاثرعن النبيﷺ أنه قال: "يعبدالله فيه بعد خراب الدنيا اربعين سنة۔[48]

مقبرة مريم

يذكر ابن بطوطة مقبرة مريم: حول دمشق مطلقاً ولم يذكر ولم يشر موضعاً خاصا. بل يقول: إن مقبرة مريم حول دمشق في القصر ويذكر مقابر أبي مسلم الكولاني وأبي سليمان الداراني في موضع خاص ولم يذكر ابن جبير فيه شيئاً.[49]

مسجد الأقدام

يذكر ابن جبير مسجد الأقدام في مشهدة مباركة ومشهورة ويذكرالأ قدام التي ينسب اليها ويذكر آثارهم ويزين رحلته بالعبارة التي كتبت علي الحجارة في المحراب. فعجب ابن بطوطة علي أهل دمشق إذا نظر إليهم أنهم يعظمون هذا المسجد تعظيما كثيرا لكن اذا عرف سببه فذكر: رحل الناس علي حكم الملك إلى هذا المسجد تضرعا إلى الله ودعاء من نجاة طاعون فقبلت دعوتهم، ونجومن الطاعون الذي فشا في قاهرة ومصر.[50] ويذكر ابن جبير مسجد الأقدام ايضاً لكن لم يذكر شهرته وبركته شيئاً ويبين أقدام موسي.[51] يقول ابن بطوطة في ذكر منارة بيضاء في باب شرقي

---

[46]الحاشية، علامة ابن عابدين، 1: 41 ،عن كتاب أخبار الدول بالسند إلى سفيان الثورى وأخرجه أبو الحسن الربعي فى فضائل الشام و دمشق، 3: 35؛ وابن عساكر فى تاريخ دمشق، 2: 12 ولكن يقول الألبانى بأن سنده ضعيف مجهول بل يقول بأنه باطل لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا عن السفيان الثورى۔ أنظر: محمد ناصر الدين الألبانى، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (بيروت: المكتبة الإسلامى، 1403ھ)، 134۔

[47]: ابن جبير، رحلة ابن جبير، 236۔

[48]ابن بطوطة، تحفة النظار ،1: 73۔

[49]ابن بطوطة، تحفة النظار ،1: 81۔

[50]ابن بطوطة، تحفة النظار ،1: 79۔

[51]ابن جبير، رحلة ابن جبير، 254۔

بدمشق: بأن الناس يقول: هذه المنارة هي التي ينزل عليها عيسىٰ بدمشق، ثم يقول ابن بطوطة: بأن ذكر نزول عيسىٰ علي هذه المنارة موجود في صحيح مسلم. لكن ابن جبير لم يذكر هذه المنارة.[52]

غار ابراهيم

يذكر ابن بطوطة في شمال دمشق جبل قاسيون وبلدة صالحية، ثم يذكر من مظاهره المكرمة "الغار" الذي قد وُلِدَ فيه ابراهيم الخليل والغارالذي رأي منه الشمس والقمر والكوكب علي ما ورد في القرآن الكريم[53] وفي ظهر الغار يذكر المقام الذي كان يخرج اليه. فنري بأن السياحين يتفقان في مولد ابراهيم علي أنه قريب من جبل قاسيون لكن ابن جبير يقول: "هو بصفح جبل قاسيون عند قرية تعرف ببرزة وهو في الجهة الشمالية من البلد وعلى مقدار فرسخ . وابن بطوطة يذكر عن مولد ابراهيم أنه جبل من جبال قاسيون مطلقاً.[54]

بيت اللاهية

يذكر ابن جبير أن بيت اللاهية في الجانب الشرقي من البلد عن الطريق الأيمن إلى مولد ابراهيم. ويؤيد ابن بطوطة بأن بيت اللاهية في جهة المشرق من دمشق وكانت فيها كنيسة كان آزر ابوابراهيم ينحت فيها الآلهة فيجيء الخليل فيكسرها. ويذكران معا أنَّ هنا مسجد جميل.[55]

أويس القرني

يذكر ابن بطوطة في مقبرة أويس القرني رواية كتاب القرطبي المعلم في شرح مسلم كما يذكر ابن جبير مقبرة أويس القرني.[56]

مغارة الدم

يذكر ابن بطوطة مغارة الدم ويقول: وفوق ذالك مقتل هابيل ابن آدم إذا قتل قابيل هابيل فجره الي هذه المغارة وألقي فيها ويتفق ابن جبير بابن بطوطة في مقتل هابيل ومقبرته ويقولان: "قد ابقي

---

[52] رحلة ابن جبير ، 248۔

[53] ولد إبراهِم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال لها قاسيون أى ولد في أسفل جبل قاسيون في الغربكما قيل بأن الدعاء هناك مستجاب۔ أنظر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق (بيروت: دار الكتب العلمية، تحقيق: عطاء مصطفي عبد القادر)، 1: 460۔

[54] ابن جبير، رحلة ابن جبير، 246؛ ابن بطوطة، تحفة النظار ، 82۔

[55] ابن جبير، رحلة ابن جبير، 249؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، 1: 82۔

[56] ابن جبير، رحلة ابن جبير، 249؛ ابن بطوطة، تحفة النظار ، 1: 83۔

الله منه في الجبل آثاراً حمراً في الحجارة" ويقول ابن جبير اذا تحك هذه الحجارة فتخرج منها حمرة وهي من آيات الله تعالى.كما يقول: وقرأنا في تاريخ ابن المعلي الاسدي: "ان تلك المغارة صلي فيها ابراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ولوط وايوب".[57] ويذكر ابن بطوطة مثل ذالك.[58]

باب الفراديس

يذكر ابن بطوطة وابن جبير: ان خارج هذا البلد الجيانة العتيقة وهي مدفن الأنبياء والصالحين. ويقول ابن بطوطة: ان باب الفراديس بين قاسيون الجبل مدفن سبعين الف نبي أوسبع مائة نبي. ويقول ابن جبير: مدفن سبعين ألف شهيد أوسبع مئة نبي.[59]

مغارة الجوع

يقول ابن جبير: "ذكرنا سبعين نبياً ماتوا فيها جوعاً، وكان عندهم رغيف فلم يزل كل واحد منهم يؤثر به صاحبه ويدور عليهم من يدٍ الىٰ يدٍ حتي لحقتهم المنية". وكذلك يذكر ابن بطوطة في رحلته.[60]

قبور الشهداء

يذكر ابن بطوطة في صحاريٰ قبور الشهداء أنها في جانب الغربي من دمشق ويذكر أن فيها مقابر أصحاب بيعت رضوان وغير ذالك من الصحابة والتابعين والأئمة الصالحين ويقول ابن جبير: "والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب، قد جرب ذلك كثير من الأولياء".[61] ونحن ننظر إلى السياحين إذا ذهبا منيحة الشرقي بدمشق يبينان أن هناك مقبرة صحابي سيد خزرج سعد بن عبادة الانصاري نحواً من اربعة اميال ويذكران عبارة التي كتبت على مقبرته.

مقبرة أم اكلثوم

---

[57] ابن جبير، رحلة ابن جبير، 254؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، 1: 78ـ

[58] يؤيد قول ابن عساكر بأن هناك مقتل ابن ادم كما يذكر عن خروج عمر بن عبد العزيزو معاوية إلى موضع الدم للإستسقاء حتى نزل المطر ـ أنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 1: 465ـ

[59] ابن جبير، رحلة ابن جبير، 247؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، 1: 80، 81ـ ويذكر ابن عساكر مقبرة مريم بنت عمران وابنها الحواريون في مقبرة الفراديس ـ أنظر :ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 1: 468ـ

[60] : ابن جبير، رحلة ابن جبير، 248؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، 1: 81ـ

[61] : ابن جبير، رحلة ابن جبير، 248؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، 1: 81ـ

يذكر ابن بطوطة مقبرة أُم كلثوم بنت علي وفاطمة بالتفصيل. ويذكر ايضاً اسمها الحقيقي وسبب كنيتها. ويذكر ايضاً ابن جبير مشهد أُم كلثوم وموضعه واسمها الحقيقي وكنيتها وسببها.

مقبرة زكريا

يذكر ابن بطوطة في وسط المسجد مقبرة زكريا، ويقول: "كتب علي غلافها السواد الحرير، بالحرير الأبيض يا زكريا ﴿يَازَكَرِيَّآ اِنَّا نُبَشِّرُك بِغُلَامِن اسْمُه يَحْيٰى﴾ [مريم 19: 7].[62] ويذكر ابن جبير في زيارة دمشق رأس الذي دفن في المسجد قبل القبلة.[63]

مقابر حسن وحسين

يذكر ابن بطوطة رأس الحسن في المقبرة التي عند باب المسجد الشرقي شمالا.[64] ولكن ابن جبير إذا يذكر روضته فيقول: "وضع هناك رأس الحسن ثم انتقل إلى القاهرة". يذكر مقبرة الحسن والحسين في المقبرة الغربي. لكن ابن بطوطة لم يذكر مثل ذالك. ويبين ابن جبير المقامات والمشاهد والمقابر المهمة منها مقبرة أم المؤمنين أم حبيبة ومعاوية ومؤذن الرسولﷺ بلال وكعب الاحبار وأويس القرني وغير ذلك. ويذكران مقبرة أم حبيبة ومعاوية بين باب الجابية وباب الصغير.[65]

نتائج البحث

كما ذكرنا فى البداية إن أدب الرحلة أدب له صلات قوية بالآداب والعلوم المختلفة ويضم فيه كمية كبيرة من المعلومات التاريخية والجغرافية وغيرها حيث يستفيد القارئ من قرائتها ويتعرف عن المدن والأماكن القديمة والتاريخة وعن الملوك والشخصيات المعروفة وهكذا يعرف أصحاب الحلم وغيرهم.رأينا خلال دراستنا هذه أن كل واحد من الرحالتين له أسلوب ومذاق خاص فنراهم يتفقون فى آن ويختلفون فى آخر، حتى فى وصف نفس البلاد، والأماكن، والشخصيات والمعلومات الاخرىٰ. فبناءًا على ذلک وصلنا إلى النتائج التالية:

1ـ إتفق ابن بطوطة وابن جبير فى وصف دمشق الثنائي عليها بالتفصيل ذكروا حدائقها وعماراتها الشاهقة وحسنها الجذاب.2ـ يتحدث ابن جبير عن استغاث النصارىٰ فى كلامه عن دمشق ولكن ابن بطوطة لم يذكر ذلک.3ـ ذكر كل واحد منهم مسجد الأقدام فتحدث ابن بطوطة عن بركته

---

[62]: المريم، 19: 7ـ

[63]: ابن جبير، رحلة ابن جبير، 246ـ

[64]: ابن بطوطة، تحفة النظار، 1: 74ـ

[65]: ابن جبير، رحلة ابن جبير، 251ـ

وشهرته ولكن ابن جبير لم يذكر من ذلك شيئا.4- يقول ابن بطوطة كنت زينب أم كلثوم بنفسها، ويقول ابن جبير كنى النبى زينب أم كلثوم.5- يقول ابن بطوطة: إن رأس الحسين رضى الله عنه فى المقبرة التى عند باب المسجد الشرقى شمالا، ويقول إبن جبير هناك رأس الحسين رضى الله عنه ثم انتقل الى القاهرة.6- يذكر ابن جبير مقبرة الحسن والحسين فى المقبرة الغربية، ولكن ابن بطوطة لم يذكر ذلك.7- يذكر ابن بطوطة صحارى قبور الشهداء إنها فى جانب الغربى ويذكر ان فيها مقابر أصحاب بيعة الرضوان، ويقول ابن جبير فيها مقابر أصحاب الرضوان من الصحابة والتابعين والأئمة الصالحين. ويقول ابن جبير هناك تستجاب الدعوات وهى تجربتى.8- ذكر ابن بطوطة فى رحلته مقابر أبى مسلم الخولانى وأبى سليمان الرزاق، وابن جبير لم يذكر ذلك.9- ويقول ابن بطوطة فى حديثه عن موضع مقبرة مريم عليها السلام أنه حول دمشق مطلقا، وابن جبير لم يناقش ذلك.10- تحدث ابن بطوطة خلال الكلام عن دمشق عن المنارة البيضاء التى ينزل عليها المسيح، ولكن ابن جبير لم يتحدث عن هذه المنارة.11- قال ابن بطوطة: إن قبر ابراهيم فى شمال جبل قاسيون والبلدة الصالحة وذكر الغار المبارك الذى ولد فيه ابراهيم ورأي منه الشمس والقمر، ولما ذكر ابن جبير جبل قاسيون قال هوعند قرية ببرزة وهوفى الجهة الشمالية من البلدة.12- لما ذكر ابن بطوطة اويس القرنى ذكر الروايات التاريخية عن قبره وما يتعلق به، ولكن ابن جبير لم يناقش تلك البحوث. وهكذا ذكر كل منهم مغارة الجوع واتفقوا فى ذكر التفاصيل عنها.

بعد قراءة هذا المقال وصلنا إلى أن آثار دمشق تختص بمعالمها ومبانها الفاخرة، كانت هذه الآثار ولاتزال تعرض علينا شموخهاو براعتها مهما مرت عليها العهود، وهكذا أن أدب الرحلة له دور هام في علم التاريخ، ولا نبالغ إذا قلنا أن أدب الرحلة من أهم مصادر التاريخ القديم، وهكذا أن آثار دمشق القديمة لها قيمة تاريخية كبرى بين الآثار العالمية الأخرى،لأن آثار دمشق هي ليست ثروة علمية أدبية و دينية للمسلمين فقط بل هي ثروة لحاملي جميع الديانات الأخرى، وأخيرا أقول أن هذه الآثار تقتضي منا ومن ولاة أمرها خاصة العناية الخاصة كي لا تفني مع مرور الزمن،وكي تبقي شامخة كيومها للأجيال القادمة.